رسالة موجزة

في بيان براءة
الإمام مالك وأصحابه وكبار أتباعه من

مذهب الأشاعرة

بقلم

فضيلة الشيخ

أ. أحمد محمد عبد الحفيظ

رئيس اللجنة العليا للإفتاء بليبيا

برعاية

الهيئة العامة للأوقاف

والشؤون الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



دولة ليبيا - الحكومة الليبية المؤقتة
الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لِلَّهِ نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعدُ:

فإنِّي أضع بين يديك أيها القارئ الكريم هذه الرسالة الموجزة، والتي

خصصتها لبيان براءة الإمام مالك وأصحابه وكبار أتباعه من مذهب الأشاعرة الكلامي المنحرف ونحلتهم الزائغة.

ولست أريد في هذه العجالة استيعاب مفردات الباب كلها ولا أكثرها، وإنما أريد فقط الإشارة لبعضها مما فيه الكفاية -إن شاء الله- لمن أرد الله ﷻ توفيقه.

وهذه الرسالة الموجزة لخصتها من بحث بعنوان: «الردود الأثرية علىٰ شبه أدعياء المالكية» للعبد الفقير إلىٰ الله، مقيد هذه الحروف، كان قد قرَّظه وقدَّم له وعلَّق عليه سماحة الشيخ الوالد حسن بن عبد الوهاب البنا -حفظه الله تعالىٰ، وجزاه خير الجزاء-.

وقد ركَّزت في هذه الرسالة علىٰ ثلاثة عناصر أساسية:

- **الأول:** لمحة تاريخية موجزة عن مذهب الأشاعرة الكلامي، وكيف ابتليَ به أهلُ المغرب الإسلامي، وعلىٰ يدِ مَن كان ذلك، أو مَن الذي أتىٰ به إلىٰ هذه البقعة من بلاد المسلمين، ليبيا وما حولها؟
- **الثاني:** بيان أن مؤسسَ هذا المذهبِ المنحرفِ والفكرِ الزائغ لمَّا هداه الله ﷻ ووفقه وأراد به الخير؛ ترك مذهبه، وتبرأ منه، وتاب إلىٰ ما كان عليه السلف الصالح، من الصحابةِ والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، بذكر شيء من تراجعاته التي أعلنها في كتبه.

وكذلك ذكرُ تراجعاتِ وتوبةِ أكابرِ أئمة المذهب الأشعري عنه، لمَّا علموا أنه باطل وانحراف عن سبيل المؤمنين، ويستفاد من هذا المبحث أو العنصر

أن مذهب الأشاعرة مذهب مخذول متروك، تركه مؤسسه أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتركه كبار أصحابه وأتباعه، فلا يتمسك به من بعدهم إلَّا جاهل لا يعي خطورة ما وعوه، أو متبع لهواه، نسأل الله أن يهديَنا وجميع المسلمين سواء السبيل.

• **العنصر الثالث والأخير:** يتضمن نقولاتٍ عن كبار أئمة المالكية الأعلام، يذمُّون فيها طريقة أهل الكلام والفلسفة من أشاعرة وغيرهم، ويحضُّون ويؤكدون علىٰ اتباع سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وبه يتبين بوضوح أن مَن نسب الأشعرية إلىٰ الإمام مالك أو أحد أصحابه -وهذا جهل أعمىٰ؛ لأن مالكًا وأصحابه قد ماتوا قبل أن يوجد مذهب الأشاعرة- المهم سيتبين لنا بوضوح أن مَن نسب الأشعرية إلىٰ الإمام مالك أو أحد أصحابه أو أحد كبار أئمة المذهب قريبي العهد من الإمام مالك، فإنما هو مفترٍ كذَّابٌ أو جاهلٌ جهلًا مطبقًا، سمع قومًا يتكلمون في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ وأسمائه وصفاته بما أملته عليهم شياطينهم وابتدعته أهواؤهم، سمعهم أو قرأ مقالتهم فرددها بلا وعي ولا فهم، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أقول:



العنصر الأول: لمحة تاريخية تبين لنا أنه لا قيمة للأشاعرة وغيرِهم من أهل الأهواء الكلاميين لا قيمة لهم ولا لكتبهم عند المالكية علماء وأمراء وعامة

قال ابنُ خَلدونَ المؤرخُ الشهيرُ المالكيُّ في «تاريخه»: إن أهل المغرب كانوا بعيدين كل البعد عن مذهب الأشاعرة، واستمر ذلك إلىٰ أن ظهر محمد بن تومرت الشيعيُّ الزائغ، فأنكر عليهم اتباعهم لطريقة السلف، وألزمهم باتباع مذهب الأشاعرة!

فيا عجبًا، ويا حسرة علىٰ العباد، هل ضل الناس باتباعهم مذهب السلف في الاعتقاد؟!! مذهب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة المبشرين بالجنة وغيرِهم من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان، ضلوا باتباعهم لأولئك الجلة، وما أصابوا وما وافقوا المعتقد الصحيح حتىٰ جاءهم ابنُ تومرت ذلك الفاسق الذي يدَّعي لنفسه العصمة، ويدَّعي أنه هو الإمامُ المهدي، وهو في واقع الأمر شيعي (قذر)، وكان يدَّعي علم الغيب لأنه من الكهنة الذين يخُطون علىٰ الرمل، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢].

قال ابنُ خَلدون: «وجاء المهديُّ -يعني: الشيعيَّ ابنَ تومرت- علىٰ أثرهم داعيًا إلىٰ الحق -في نظره وإلَّا فهو عين الباطل- آخذًا بمذاهب الأشعرية، ناعيًا علىٰ أهل المغرب عدولَهم عنها إلىٰ تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة، وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الأشعرية، وسمىٰ أتباعه الموحدين تعريضًا بذلك النكير، وكان يرىٰ رأي أهل البيت -يعني: الشيعة- في الإمامِ المعصوم، وأنه لابد منه في كل زمان، يُحفظُ بوجوده نظامُ هذا العالَم، فسُمِّي بالإمام لما قلناه أولًا من مذهب الشيعة في ألقاب خلفائهم، وأَردف بالمعصوم إشارة إلىٰ مذهبه في عصمة الإمام»[1]. اهـ

وقال ابن خلدون في موضع آخر من «تاريخه» عن ابن تومرت: «وكان له في طريقته الأشعرية إمامةٌ وقدم راسخة، وهو الذي أدخلها إلىٰ المغرب كما ذكرناه»[2]. اهـ بلفظه.

وهاهو شهاب الدينِ السَّلَاويُّ المالكيُّ يقرر في تاريخه المعروفِ بـ:«تاريخ السلاوي» واسمه: «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ»، يقرر -نقلاً عن ابن خَلدون-: «أن أهل المغرب كانوا بمعزل عن اتباع الأشاعرة في تأويل المتشابه من الآي والحديث، بل كانوا علىٰ مذهب السلف في

(١) «تاريخ ابن خلدون» المسمىٰ «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» (١ / ١١٧).
(٢) المرجع السابق (٣ / ١٦١٧).

الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل، واستمر حالهم علىٰ ذلك إلىٰ أن ظهر محمد بن تومرت (مهدي الموحدين!!) الذي رحل إلىٰ المشرق، وأخذ عن علمائه مذهب الأشاعرة، ثم عاد إلىٰ المغرب فحمل الناس علىٰ القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأفتىٰ بإمامتهم ووجوب تقليدهم، وألَّف العقائد علىٰ رأيهم، كـ:«المرشدةِ في التوحيد».

وكان ينكر علىٰ الناس ثباتهم علىٰ مذهب السلف في إقرار الصفات كما جاءت، ويرىٰ أنه جمود وتجسيم، ويذهب إلىٰ تكفيرهم بذلك، علىٰ أحد قولي الأشاعرة في التكفير، وهو لذلك سمَّىٰ فرقته بالموحدين، ليكون مَن خالفهم ليس موحدًا، فاغتر به كثيرون، ومن ذلك الوقت ظهر مذهب الأشاعرة في المغرب الإسلامي». اهـ بمعناه بغية الاختصار(١).

أقول: وهذا يدلك أيها العاقل الرشيد علىٰ أن مذهب الأشاعرة لم يدخل المغرب الإسلامي إلا بعد خمسة قرون من الزمن؛ لأن ابن تومرت توفي بعدها في القرن السادس سنة (٥٢٤هـ)، فإذا علمت هذا؛ وعلمت أيضًا أن الإمام أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ قد توفي في القرن الرابع سنة (٣٢٤هـ)، وأن الإمام مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ قد توفي في القرن الثاني سنة (١٧٩هـ)، والعلماء من أصحابه علىٰ أثره، فَبِمَ تحكم علىٰ من ينسب مالكًا وكبار أصحابه إلىٰ مذهب الأشاعرة؟!!

إن شر البلية ما يضحك -كما يقال-!

---

(١) انظر (٢ / ٧٣) وما بعدها.

أفلا يكفي عقلاء أهل المغرب الإسلاميِّ دليلًا علىٰ بطلان هذا المذهب أنه ما أتاهم إلا عن طريق ذاك الشيعي الساقط؟!

أما قبلَ ظهورِه فقد كانت بلادُ المغرب بلادَ هدًىٰ وروضةً من رياض السنة، كما يذكر ذلك المؤرخون.

ومن قَبل السَّلَاويِّ، قال الإمامُ أبو محمدٍ المَرَّاكُشيُّ المالكيُّ في تاريخه المسمىٰ «المعجِب في تلخيص أخبار المغرب» عند حكايته لأحداث الفترة التي سبقت ظهورَ ابنِ تومرت وفرقتِه بالمغرب، يقول ما نصه: «... ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدىٰ أكثره إلىٰ اختلال في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال، حتىٰ استحكم في نفسه بُغض علم الكلام وأهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلىٰ البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها، وتقدم بالوعيد الشديد -من سفك الدم واستئصال المال- إلىٰ من وُجد عنده شيء منها؛ واشتد الأمر في ذلك ...»[1].

وقال الإمام الذهبي في «السير» في ترجمة أبي ذر الهروي: «أَخذ الكَلَامَ

(١) «المعجب» (ص١٢٣).

وَرَأْيَ أَبِي الحَسَنِ -يعني: بدعة الأشعرية- عَنِ القَاضِي أَبِي بَكرٍ بنِ الطَّيِّب، وَبثَّ ذَلِكَ بِمَكَّةَ، وَحمله عَنهُ المغَارِبَةُ إِلَىٰ المَغرِب وَالأَندَلُس، وَقبل ذَلِكَ كَانَت عُلَمَاءُ المَغرِب لَا يدخُلُونَ فِي الكَلَام، بَل يُتقِنُونَ الفِقهَ أَوِ الحَدِيث أَوِ العَرَبِيَّة، وَلَا يَخُوضُون فِي المعقولَاتِ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ كَانَ الأَصِيلِيُّ، وَأَبُو الوَلِيدِ ابنُ الفَرَضِيِّ، وَأَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنكِيُّ، وَمَكِّيٌّ القَيسِيُّ، وَأَبُو عَمرٍو الدَّانِيُّ، وَأَبُو عُمَرَ ابنُ عَبدِ البَرِّ، وَالعُلَمَاءُ»[(١)]. اهـ بلفظه.

وهاهو الإمام ابن خويزمنداد المالكيُّ يقول في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف: «قال مالك: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم».

وذكر كتبًا ثم قال: «وكُتُبُ أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا -يعني: المالكية- هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الإجارة في ذلك، قال: وكذلك كُتُبُ القضاء بالنجوم وعزايم الجن وما أشبه ذلك.

وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك: «لا تجوز شهادةُ أهلِ البدع وأهلِ الأهواء».

قال: «أهلُ الأهواء عند مالكٍ وسائرِ أصحابِنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريًّا كان أو غير أشعريٍّ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا، ويهجر ويؤدب علىٰ بدعته، فإن تمادىٰ عليها

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٥٧).

استتيب منها...»[(١)].

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر عقبه: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كلِّه أو نحوِه يسلم له ولا يناظر فيه ...» اهـ بلفظه[(٢)].

وهاهو الإمام ابن رشد المالكي يقول كما في «الفتاوىٰ»: «... فمن الحق الواجب علىٰ مَن ولَّاه الله أمر المسلمين: أن ينهىٰ العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين، ويمنعهم من ذلك غاية المنع، مخافة أن تنبو أفهامُهم عن فهمها، فيضلوا بقراءتها، ويأمرَهم أن يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده علىٰ الاستدلال الذي نطق به القرآن، ونبه الله عباده في محكم التنزيل؛ إذ هو بيِّن واضح لائح، يدرك ببديهة العقل بأيسر تأمل في الحين، فيبادروا بعد إلىٰ تعلم ما يلزمهم من التفقه في أحكام الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر الشرائع والأحكام، ومعرفة الحلال في المكاسب من الحرام» اهـ بلفظه[(٣)].



---

(١) الكلام بنصه من «جامع بيان العلم وفضله» للإمام ابن عبد البر المالكي (٢/ ١٣٠).
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٣١).
(٣) «فتاوىٰ ابن رشد» (١/ ٩٧١).

العنصر الثاني: توبة مؤسس المذهب الأشعري أبي الحسن الأشعري من مذهبه الباطل، وذكر تراجعات كبار أئمة الأشاعرة

أيها المسلم، لقد علم منصفو الباحثين وتقرر عندهم أن مذهب الخلف الذي هو مذهب متأخري الأشاعرة مذهب كلامي مخذول متروك، تركه مؤسسه أبو الحسن الأشعري نفسُه عندما تبين له بُعدُه عن الجادة والصواب، كما سيتبين لك ذلك، وتركه كبار أتباعه من أمثال: الفخر الرازي، والغزالي، والجويني وغيرُهم.

وهو مذهب باطل يقضي بتأويل -أو قل: بتعطيل- صفات الخالق ﷻ، الثابتةِ له بصريح القرآن وصحيح السنة، كصفة العلو، والكلام، واليد، والرجل، والوجه ...إلخ.

فهاهو أبو الحسن الأشعري يعلن بنفسه رجوعَه عن ذاك المذهب الباطل إلىٰ طريقة السلف ومذهب أهل السنة، وينسُبُ القولَ بأن (استوىٰ) تعني (استولىٰ) ينسُبُه إلىٰ المعتزلة، كما ستقف عليه بعد قليل.

وقد أخبر هو بنفسه في غير ما موضع من كتبه أنه رجع عن مذهب المعتزلة، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «جملة ما عليه أهلُ الحديثِ والسنةِ الإقرارُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئًا، وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمَّدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله سبحانه على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن لله سبحانه علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ [النساء:١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر:١١]، وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة.

وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ﴾ [فصلت:١٥].

وقالوا أنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» للإمام أبي الحسن الأشعري (١/ ٣٤٥) وما بعدها.

تكون بمشيئة الله كما قال ﷻ : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان:٣٠].

وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون ... ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ، من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق ...

وينكرون الجدل والمراء في الدين، والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلًا عن عدل حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ، ولا يقولون كيف؟ولا لِمَ؟ لأن ذلك بدعة...

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ...

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله سبحانه ينزل إلىٰ السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر كما جاء الحديث عن رسول الله ﷺ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله ﷻ : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، ويرون اتباع مَن سلف مِن أئمة الدين، وألَّا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله.

ويقِرُّون أن الله سبحانه يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]...

ويرون مجانبة كل داعٍ إلىٰ بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه، مع التواضع، والاستكانة، وحسن الخلق، وبذل المعروف، وكف الأذىٰ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين، وعليه نتوكل، وإليه المصير». اهـ كلام الإمام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذا أبو الحسن إمام المذهب الأشعري قد تبرأ من التأويل والتعطيل، فلم يقل بأن (استوىٰ) بمعنىٰ (استولىٰ)، ولا أن (كلام الله) كلام نفسي قديم، ولا أن (يد الله) بمعنىٰ تأييد الله، وما إلىٰ ذلك من (التحريفات)، بل صرح بأنه متبع لطريقة السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين، كالإمام مالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم؛ الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسولهﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل (ولا تأويل!).

ومقالة أبي الحسن هذه التي نقلتها لك آنفًا لم يصرح بها في كتابه «مقالات الإسلاميين» فقط، بل أعلنها عاليًا في جلِّ كتبه؛ سيما كتابه «الإبانة في أصول الديانة» الذي هو آخر كتبه كما قال أهل العلم[1].

(١) قال الإمام ابن تيمية عن كتاب «الإبانة» لأبي الحسن الأشعري: «وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه». انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٩٣).

وكذلك سائر كتبه كـ: «الموجز»، و«المسائل»، و«رسالته إلىٰ أهل الثغر»؛ فهو ما استقر عليه مذهبه: مِن أن الله فوق عرشه، مُستَوٍ عليه، وغير ذلك مما يعتقد أهل السنة.

أفبعد هذا كله يَستَحِلُّ مؤمنٌ أمين ذو عقل وبصيرة أن ينسب هذا المذهب مذهب التأويل -علىٰ حد قولهم، وإنما هو تعطيل- إلىٰ أبي الحسن الأشعري، والرجل منه براء؟!! اللهم لا.

نعم؛ كما ذكرت آنفًا قد كان أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ يرىٰ بذلك الرأي الباطل في أول أمره، في أيام تأثره بآراء المعتزلة؛ إذ كان واحدًا منهم طيلة أربعة عقود، ولكن عندما أراد الله له الهداية والنجاة وتاب عليه، وآب الرجل إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة؛ صار من أكبر الناقضين لمذهب المعتزلة وغيرهم من الفرق المنحرفة الضالة، ومن أشد الذَّابِّين[1] عن مذهب

---

(١) قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري: «... وكان عجبًا في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلىٰ الله تعالىٰ منه، ثم أخذ يرد علىٰ المعتزلة ويهتك عوارهم.

قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم، حتىٰ نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم».

وقال الذهبي: «قال أبو الحسن الأشعري في كتاب «العمد في الرؤية» له: صنفت «الفصول في الرد علىٰ الملحدين» وهو اثنا عشر كتابًا، وكتاب «الموجز»، وكتاب «خلق الأعمال»، وكتاب «الصفات» وهو كبير تكلمنا فيه علىٰ أصناف المعتزلة والجهمية، وكتاب «الرؤية بالأبصار»، وكتاب «الخاص والعام»، وكتاب «الرد علىٰ المجسمة»، وكتاب «إيضاح =

السلف، أهل السنة ﭬ .

وليس أبو الحسن فحسب الذي تبين له بطلان ما كان عليه من استساغة تأويل الأخبار الواردة في صفات الخالق ﮋ، بل إن أعلام المذهب الأشعري وأعمدته الذين طوروا المذهب وتوسعوا فيه باجتهاداتهم العقلية، وناظروا وجادلوا من خالفهم، وأقاموا البراهين علىٰ صحة مذهبهم بالأدلة والحجج الكلامية، من أمثال: الفخر الرازي، وأبي المعالي إمام الحرمين، وأبي عبد الله الشهرستاني، وأبي حامد الغزالي وغيرهم، هم أيضًا في نهاية المطاف رجعوا عن آرائهم الكلامية إلىٰ عقيدة السلف، فتبرءوا من كل ما خاضوا فيه، وهدموا بأيديهم كل ما قعَّدوه من تلك الأباطيل الكلامية، توبة منهم إلىٰ الله وقصدًا إلىٰ صراط الذين أنعم الله عليهم بالتسليم إليه وعدم التألي عليه -جل وعلا-.

وأنا أذكر تراجعاتهم هنا لكي لا يُغتر بما قد يوجد في بعض كتبهم أو ما يتشدق به بعض المتقولين فينسبه إليهم، فلابدَّ من ذكر طرف من تراجعاتهم وأحوالهم في نهاية المطاف؛ إذ بذلك يوصد باب الكذب الذي هو من أشد أدواء خصوم السنة في هذه الأيام وهم يظنون أنه من أنجع أسلحتهم وأنفعها،

=

البرهان»، وكتاب «اللمع في الرد علىٰ أهل البدع»، وكتاب «الشرح والتفصيل»، وكتاب «النقض علىٰ الجبائي»، وكتاب «النقض علىٰ البلخي»، وكتاب «جمل مقالات الملحدين»، وكتابًا في الصفات هو أكبر كتبنا، نقضنا فيه ما كنا ألفناه قديمًا فيها علىٰ تصحيح مذهب المعتزلة لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله لنا الحق فرجعنا». انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٥) وما بعدها.

ويغفلون عن قول خالقهم الذي يعلم سرهم ونجواهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ [يونس:٦٩].

ولتعلم أخي الكريم ولتيقن بعد ذلك أن المتمسك بهذا المذهب ما هو إلا مفترٍ ومكابرٌ ومتخذ إلهه هواه، إن لم يكن جاهلًا، وإلا كيف يتمسك بقولٍ تراجع عنه أصحابه وتركوه علىٰ علم منهم ودراية، وهم أهلُه الذين (ابتدعوه)، وقعَّدوا له، وأصَّلوا ودافعوا وناصروا وأجلبوا علىٰ مخالفهم بكل خيلهم ورجلهم، فلمَّا تبين لهم أن رقمهم علىٰ ماء، وأن نفخهم في رماد، وأن قصدهم إلىٰ حَير، وأن عمرهم إلىٰ نفاد، نفروا منه وسارعوا إلىٰ التوبة والتخلص مما عملت (أهواؤهم).

فهاهو أبو المعالي الجويني إمام الحرمين يقول: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به».

ولما حضرته الوفاة قال: «لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن؛ فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وهَأنَذَا أموت علىٰ عقيدة أمي، أو قال: علىٰ عقيدة عجائز نيسابور»[1].

وقال أبو الفتح الطبري الفقيه: «دخلت علىٰ أبي المعالي في مرضه فقال: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وإني أموت علىٰ ما

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» للإمام ابن أبي العز (ص١٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (١٨/ ٤٧٤).

يموت عليه عجائز نيسابور»[١].

وقال الفقيه غانم المُوشِيلِي: «سمعت الإمام أبا المعالي يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام»[٢].

وكذلك الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتهىٰ آخر أمره إلىٰ الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل علىٰ أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح البخاري علىٰ صدره[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكثر الناس شكًّا عند الموت أهل الكلام»[٤].

وكذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني -وهو من أئمة الأشاعرة- قال: «إنَّه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلَّا الحيرة والندم، حيث قال[٥]:

لَعَمرِي لَقَد طُفتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرتُ طَرفِي بَينَ تِلكَ المَعَالِمِ

فَلَم أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَىٰ ذَقْنٍ اوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وهاهو الفخر الرازي يقول: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ووجدت أقرب الطرق طريقة

(١) «السير» (١٨/ ٤٧٤).
(٢) المرجع السابق (١٨/ ٤٧٣).
(٣) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (١٤٩).
(٤) حكاه عن الغزالي شيخُ الإسلام في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨).
(٥) «شرح الطحاوية» (ص١٥٠).

القرآن، أَقرأُ في الإثبات: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأقرأُ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥]. قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نِهَايَـةُ إِقـدَامِ العُقُـولِ عِقَـالُ ... وَغَايَـةُ سَـعيِ العَالَمِـينَ ضَـلَالُ
وَأَروَاحُـنَا فِـي وَحشَةٍ مِن جُسُومِنَا ... وَحَاصِـلُ دُنـيَانَا أَذَىً وَوَبَـالُ
وَلَم نَستَفِد مِن بَحثِنَا طُولَ عُمرِنَا ... سِوَىٰ أَن جَمَعنَا فِيهِ: قِيلَ وَقَالُوا
فَكَم قَد رَأَينَا مِن رِجَالٍ وَدَولَةٍ ... فَبَادُوا جَمِيعًا مُسرِعِينَ وَزَالُوا
وَكَم مِن جِبَالٍ قَد عَلَت شُرُفَاتِهَا ... رِجَالٌ فَزَالُوا وَالجِبَالُ جِبَالُ

وكذلك قال شمس الدين الخُسرَوشَاهِيُّ -وكان من أجلِّ تلامذة فخر الدِّين الرازي- لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يومًا فقال: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصَّدر لذلك مستيقنٌ به -أو كما قال-. فقال: نعم، فقال: اشكر الله علىٰ هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكىٰ حتىٰ أخضَل لحيته»[2].

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص ١٤٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٥٠١) (رقم ٢٦١).
(٢) «شرح الطحاوية» (١٥٠)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» لابن تيمية (٥/ ١٩٧).

ولابن أبي الحديد الفاضل المشهور بالعراق:

فِـيكَ يَـا أُغلُـوطَةَ الفِكَـرِ حَـارَ أَمـرِي وَانقَـضَىٰ عُمُـرِي
سَـافَرَت فِـيكَ العُقُـولُ فَمَـا رَبِحَـت إِلَّا أَذَىٰ الـسَّفَرِ
فَلَحَـىٰ اللَّـهُ الأُلَـىٰ زَعَمُـوا أَنَّـكَ المَعـرُوفُ بِالنَّظَـرِ
كَذَبُـوا إِنَّ الَّـذِي ذَكَـرُوا خَـارِجٌ عَـن قُـوَّةِ البَـشَرِ

وقال الخَونجِيُّ عند موته: «ما عرفتُ مما حصَّلته شيئًا سوىٰ أنَّ الممكن يفتقر إلىٰ المُرَجِّح، ثم قال: الافتقار وصفٌ سلبي، أموت وما عرفت شيئًا»[(١)].

وقال آخر: «أضطجع علىٰ فراشي، وأضع الملحفةَ علىٰ وجهي، وأقابل بين حُجَج هؤلاء وهؤلاء حتىٰ يطلع الفجر، ولم يترجَّح عندي منها شيء»[(٢)].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرحه علىٰ الطحاوية بعد أن ساق هذه النقول: «ومن يصل إلىٰ مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلَّا تزندق، كما قال أبو يوسف: من طلب الدِّين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب، وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل علىٰ الكلام. وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام علىٰ شيء ما ظننت مسلمًا يقوله،

(١) «شرح الطحاوية» (١٥١).
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ولأن يبتلىٰ العبد بكل ما نهىٰ الله عنه -ما خلا الشرك بالله- خير له من أن يبتلىٰ بالكلام». اهـ

ثم قال: «وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلىٰ مذهب العجائز، فيُقِرُّ بما أقروا به، ويُعرِضُ عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم -إذا سلموا من العذاب- بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب»[(١)]. اهـ

أخي الكريم؛ والآن وبعد أن تيقنت من رجوع أئمة الأشاعرة عن ذلك (الهُراء) الباطل، وبعد أن علمت أن مذهبهم الذي تركوه ليس موافقًا لمعتقد أهل السنة والجماعة أبدًا، بل مناقض له أيُّما مناقضة، ومعارض له كل المعارضة، بعد ذلك كله سأتحفك الآن بكلامٍ لبعض كبار أئمة المالكية عن هذا المذهب الكلامي المخذول المتروك مذهب الأشاعرة، وأقوالِهم في إثبات صفات الخالق -جل وعلا وتنزه-، لتقف بنفسك علىٰ رأيهم في هذا المذهب الباطل (مذهب الأشاعرة)، دون أن يشوش عليك أحد من أولئك المرجفين، ولكي لا تغتر بتلك النقولات التي ينسبونها إلىٰ أئمة المالكية كذبًا وزورًا، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣٠].



(١) المرجع نفسه.

المبحث الثالث: نقولاتٌ عن كبار أئمة المالكية الأعلام، يذمُّون فيها طريقة أهل الكلام والفلسفة من أشاعرة وغيرهم

إن من أعظم ما افتراه بعض الذين يلصقون أنفسهم بالمذهب المالكي أن كل أتباع المذهب أشاعرة في المعتقد، بل إن الغلاة منهم يقولون بوجوب اعتناق المذهب الأشعري، وهم لا يعنون رأي أبي الحسن الأشعري نفسه الذي مات عليه، بل يعنون مذهب أتباعه، خاصة المتأخرين منهم، ويقولون قولتهم المشهورة: «مذهب الخلف أعلم وأحكم»!!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف:٥].

وهاهي أقوال بعض جهابذة أئمة المذهب المالكي، والذين تعتبر كتبهم وأقوالهم أساسات وأساطين لمن أتىٰ بعدهم من علماء وباحثين علىٰ مر العصور:

ولنبدأ أولًا بقول إمام المذهب، الإمام مالك -رحمه الله ورضي عنه-، الذي أعلن عن رأيه في علم الكلام الذي يتخذه هؤلاء دينًا فيقول: «لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع،

ولكنه باطل يدل علىٰ باطل»[(١)].

وهاهو يُعلن عن عقيدته الموافقة لعقيدة سلفه من الصحابة والتابعين في صفات الخالق -جل وعلا-، فيقول في إثبات صفة العلو للخالق ﷻ: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء»[(٢)].

وهاهو يفصح عن كراهيته للجدل والكلام فيقول: «إن أهل بلدنا يكرهون الجدال والكلام والبحث والنظر إلا فيما تحته عمل، وأما ما سبيله الإيمان به واعتقاده والتسليم له فلا يرون فيه جدالًا ولا مناظرة» رواه ابن عبد البر في «الاستذكار».

وقال قبل ذلك: «وقد أجمع أهل العلم بالسنن والفقه وهم أهل السنة عن الكف عن الجدال والمناظرة فيما سبيلهم اعتقاده بالأفئدة مما ليس تحته عمل، وعلىٰ الإيمان بمتشابه القرآن والتسليم له ولِمَا جاء عن النبيﷺ في أحاديث الصفات كلها، وما كان في معناها، وإنما يبيحون المناظرة في

---

(١) «شرح السنة» للإمام البغوي (١/ ٢١٧).

أقول: سئل الإمام سفيان الثوري عن الكلام فقال: «دع الباطل، أين أنت عن الحق؟ اتَّبِع السنة وَدَعِ الباطل» نقله الإمام الهروي في كتابه «ذم الكلام وأهله» (٤/ ١٤٢).

(٢) رواه عنه بسند صحيح عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في كتابه «السنة» (١/ ١٠٧) (١٧٤)، وعنه الإمام ابن عبد البر المالكي في «التمهيد» (٤/ ٥٢)، وهو عند الإمام أبي داود في كتابه «مسائل الإمام أحمد» (ص٢٦٣) وغيرهم، وهو قول ثابت عن الإمام مالك دون أدنىٰ ريب.

الحلال والحرام، وما كان في سائر الأحكام يجب العمل بها»[(١)].

وقال أبو طالب المكي: «كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشدهم بغضًا للعراقيين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين»[(٢)].

وجاء رجل إلىٰ الإمام المزني يسأله عن شيء من الكلام فقال: «إني أكره هذا، بل أنهىٰ عنه كما نهىٰ عنه الشافعي، فلقد سمعت الشافعي يقول: سُئل مالك عن الكلام في التوحيد، فقال مالك: مُحال أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله**»، فما عُصم به الدم والمال حقيقة التوحيد»[(٣)].

وهاهو مطرف بن عبد الله يقول: «سمعت مالك بن أنس يقول -إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات-: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة علىٰ دين الله سبحانه، ليس لأحد من الخلق تفسيرها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولىٰ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[(٤)].

---

(١) «الاستذكار» (٨/ ١١٨) مسألة (رقم ١٠٧٠٥).
(٢) «ترتيب المدارك» (١/ ٨٧).
(٣) «ذم الكلام وأهله» للهروي (٤/ ٢٨٣).
(٤) «الشريعة» للآجري (١/ ٤٠٨)، «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» للقاضي أبي يعلىٰ الفراء (١/ ٥٢).

وهاهو إمام المالكية أشهب بن عبد العزيز يقول: «سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع. قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[١].

وفي «ذم الكلام وأهله» أيضًا عن الإمام إسحاق بن عيسىٰ قال: «قال مالك ابن أنس: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب»[٢].

وقال الإمام ابن القاسم (١٩١هـ) وهو تلميذ مالك، ومن أفقه أصحابه بمذهبه، وهو الذي ذُكِر عند مالك فقال: «عافاه الله، مثله كمثل جرابٍ مملوء مسكًا»[٣].

قال: «... ولا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه -تبارك وتعالىٰ- بشيء، ولكنه يقول: له يدان

(١) «ذم الكلام وأهله» للإمام شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي الأنصاري (٤/ ١١٥)، «الحجة في بيان المحجة» للحافظ قوام السنة أبي القاسم الأصبهاني (١/ ١٠٤)، «الفتاوىٰ الكبرىٰ» لابن تيمية (٥/ ٢٠٠).

(٢) «ذم الكلام وأهله» للهروي (٤/ ١١٥) بسنده إلىٰ الإمام مالك.
والأثر عزاه الذهبي للقاضي أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٣٧). ونحوه مروي عن أبي حاتم وأبي زرعة، فقد قال ابن أبي حاتم: «كان أبي وأبو زرعة يقولان: من طلب الدين بالكلام ضل». انظر: «ذم الكلام وأهله» (٤/ ٣٨٣).

(٣) نقله عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ٢٥١).

كما وصف به نفسه، وله وجه كما وصف نفسه، تقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه -تبارك وتعالىٰ- لا مثل له ولا شبيه ولا نظير...»[(١)].

واسمع إلىٰ مقالة الإمام الجليل عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون (ت ٢١٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قال القاضي عياض في ترجمته: «... وكتب سحنون إلىٰ عبد الملك يذكر ما حدث عندهم من الكلام في التشبيه والقرآن، ويسأله الجواب عليه، وكتب إليه عبد الملك مرة: من عبد الله بن الماجشون إلىٰ سحنون بن سعيد، سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: وفقنا الله وإياكم لطاعته، سألتني عن مسائل ليست من شأن أهل العلم، والعمل بها جهل، فيكفيك من مضىٰ من صدر هذه الأمة أنهم اتبعوا بإحسان ولم يخوضوا في شيء منها، وقد خلص الدين إلىٰ العذراء في خدرها، فما قيل لها كيف ولا من أين؟ فاتبع لما اتبعوا، واعلم أنه العلم الأعظم»[(٢)].

وقال الإمام أصبغ بن الفرج (ت ٢٢٥هـ) وهو من أجلة أئمة المالكية وقدمائهم قال: «وهو مستو علىٰ عرشه، وبكل مكان علمه وإحاطته»[(٣)].

وقال الإمام القاضي عبد السلام بن سعيد التنوخي (ت٢٤٠هـ) الملقب بـ«سحنون»: «من العلم بالله الجهل بما لم يخبر به عن نفسه»[(٤)].

---

(١) «البيان والتحصيل» (١٦/ ٤٠٠).

(٢) «ترتيب المدارك» (١/ ٢٠٩).

(٣) نقله عنه الإمام ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» (ص١٤٢).

(٤) رواه عنه الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٥٧).

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) في رسالته الشهيرة التي تعتبر من أمهات الكتب في المذهب المالكي: «... وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وله الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالىٰ أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة، كلم موسىٰ بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وتجلىٰ للجبل فصار دكًّا من جلاله، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد... وأن الله -تبارك وتعالىٰ- يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد... ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[1].

وقال في كتابه «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ»: «فمما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة: أن الله -تبارك اسمه- له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا...

وأن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فتبيد، وأن الله عَجَلَّ كلم موسىٰ بذاته وأسمعه كلامه لا كلامًا قام في غيره،

(١) انظر: «متن الرسالة» الذي بهامش شرح ابن ناجي وزروق (١/ ٢٨) وما بعدها.

وأنه يسمع ويرىٰ ويقبض ويبسط، وأن يديه مبسوطتان، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، وأنه يجيء يوم القيامة «بعد أن لم يكن جائيًا» والملك صفًّا صفًّا لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها... وأنه فوق سمواته علىٰ عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه ... والتسليم للسنن، لا تُعَارَض برأي ولا تُدَافَع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بيَّنوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله.

وكل ما قدَّمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث علىٰ ما بيَّناه، وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه»[1].

وقال الإمام الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٣٩٩ هـ) الملقب بـ«ابن أبي زمَنِين» في كتابه «أصول السنة»[2]: «واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به -تبارك وتعالىٰ- عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يدع إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلىٰ حيث انتهىٰ في كتابه وعلىٰ لسان نبيه».

وقال في موضع آخر: «فهو -تبارك وتعالىٰ- نور السموات والأرض كما

---

(١) (ص١٠٧) وما بعدها.

(٢) «أصول السنة» للإمام ابن أبي زمنين المالكي (٦٧ وما بعدها).

أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك كما وصف به نفسه، ويسمع ويرىٰ ويتكلم، الأول لا شيء قبله، والآخر الباقي إلىٰ غير نهاية لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء خلق، والباطن بطن علمه بخلقه فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم».

وقال: «ومن قول أهل السنة: إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدًّا».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن قول أهل السنة: إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوىٰ عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:٥-٦]. وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد:٤]، فسبحان من بَعُد فلا يُرىٰ، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوىٰ».

وقال الإمام الزاهد أبو بكر محمد بن وهب التجيبي الحصار القرطبي المالكي المعروف بالقبري (ت ٤٠٦ هـ) في شرحه لرسالة ابن أبي زيد:

«... وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فإنما معناه عند أهل السنة علىٰ غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذي ظنته المعتزلة ومن قال بقولهم إنه بمعنىٰ الاستيلاء، وبعضهم يقول إنه علىٰ المجاز دون الحقيقة.

قال: ويبين سوء تأويلهم في استوائه علىٰ عرشه علىٰ غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره، ما قد علمه أهل العقول أنه لم يزل مستوليًا علىٰ جميع

مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرش وغيره في ذلك سواء، فلا معنىٰ لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة.

وقال: وكذلك بين أيضًا أنه علىٰ الحقيقة بقوله ﷻ : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء:١٢٢]. فلما رأىٰ المنصفون إفراد ذكره بالاستواء علىٰ عرشه بعد خلق سمواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه، فأقروا بصفة الاستواء علىٰ عرشه وأنه علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز؛ لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثله شيء من الأشياء...»[1].

وقال الإمام العلم عبد الوهاب بن نصر البغدادي القاضي (ت٤٢٢ هـ) في شرحه لبعض قول ابن أبي زيد المتقدم: «... والذي يدل علىٰ صحة ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ من أنه علىٰ عرشه دون كل مكان ورود النص بذلك في عدة مواضع منها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وهذا يمنع أن يوصف بأنه علىٰ غيره...»[2].

وقال بعد ذلك بقليل: «... واعلم أن الوصف له تعالىٰ بالاستواء اتباع للنص وتسليم للشرع وتصديق لما وصف نفسه تعالىٰ به، ولا يجوز أن يثبت

---

(١) نقله عنه الإمام ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» (ص ١٨٨، ١٨٩).

(٢) شرح القاضي عبد الوهاب البغدادي علىٰ رسالة ابن أبي زيد، الورقة العاشرة من المخطوطة، وما بعدها.

له كيفية لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي ﷺ فيه بشيء ولا سأله الصحابة عنه ...».

وقال الإمام شيخ المالكية أبو عمر أحمد بن محمد المعافري الطلمنكي الأندلسي (ت ٤٢٩ هـ) في كتابه «الوصول إلىٰ معرفة الأصول»: «... وأجمع المسلمون من أهل السنة علىٰ معنىٰ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]. ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستوٍ علىٰ عرشه كيف شاء... وقال أهل السنة في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾: إن الاستواء من الله علىٰ عرشه المجيد علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز...»[1].

وقال الإمام العلامة الفقيه المقرئ المتفنن أبو عمرو الداني المالكي (ت٤٤٤هـ) في أرجوزته الألفية الشهيرة بالأرجوزة المنبهة التي قال في أوائلها:

إن أُنشِدت سُرَّ بها السُّنيُّ ... وخَزِيَ الزنديق والبدعيُّ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها:

وَمِن صَرِيحِ السُّنَّةِ الإِقْرَارُ ... بِكُلِّ مَا صَحَّت بِهِ الآثَارُ
فَمِن صَحِيحِ مَا أَتَىٰ بِهِ الأَثَرْ ... وَشَاعَ فِي النَّاسِ قَدِيمًا وَانتَشَرْ
نُزُولُ رَبِّنَا بِلَا امتِرَاءِ ... فِي كُلِّ لَيلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ
مِن غَيرِ مَا حَدٍّ وَلَا تَكيِيفِ ... سُبحَانَهُ مِن قَادِرٍ لَطِيفِ

---

(١) رواه عنه الإمام ابن القيم في كتابه «الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة» (٤/ ١٢٧٤).

إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَمَا أَتَىٰ ذَلِكَ فِي الأَنْبَاءِ بُعْدًا لأَهْلِ الزَّيغِ وَالأَهْوَاءِ
مَاذَا يَرُدُّونَ مِنَ الآثَارِ فَهُم كَمَا جَاءَ كِلَابُ النَّارِ
يُعَطِّلُونَ شِرْعَةَ الإِسلَامِ وَمَا لَهُم فِي الدِّينِ مِن إِمَامِ
كَم أَحدَثُوا مِن بِدعَةٍ فِي الدِّينِ وَأَنكَرُوا مِن خَبَرٍ يَقِينِ
وَحَرَّفُوا مِن مُحكَمِ التَّنزِيلِ وَاختَرَعُوا مِن بَاطِلِ التَّأوِيلِ
وَزَخرَفُوا مِن كَذِبٍ وَزُورِ وَاستَهزَءُوا بِالوَارِدِ المَسطُورِ
عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ الكِرَامِ أَصحَابِهِ فِي العَقْدِ وَالأَحكَامِ

وقال في كتابه «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات»: «فصل في استواء الله علىٰ عرشه وعلوه علىٰ خلقه: ومن قولهم: أنه سبحانه فوق سمواته، مستوٍ علىٰ عرشه، ومستولٍ علىٰ جميع خلقه، وبائن منهم بذاته، غير بائن بعلمه، بل علمه محيط بهم، يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما يكسبون، علىٰ ما ورد به خبره الصادق وكتابه الناطق، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾...»(١).

وقال الإمام أبو الحسن ابن بطال البكري(ت ٤٤٩هـ) في شرحه لصحيح البخاري: «... وأما الاستواء فاختلف الناس في معناه، فقالت المعتزلة: إنه بمعنىٰ الاستيلاء والقهر والغلبة، واحتجوا بقول الشاعر:

---

(١) انظر كتابه: «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات» (ص٢٠).

قَـد اسـتَوَىٰ بِـشر عَلَـىٰ العِـرَاقِ   مِـن غَيـرِ سَـيفٍ وَدَمٍ مُهـرَاقِ

بمعنىٰ: قهر وغلب، ثم اختلف من سواهم في العبارة عن الاستواء.

فقال أبو العالية: استوىٰ: ارتفع.

وقال مجاهد: استوىٰ: علا.

وقال غيرهما: استوىٰ: استقر.

فأما قول من جعل الاستواء بمعنىٰ القهر والاستيلاء فقول فاسد؛ لأن الله تعالىٰ لم يزل قاهرًا غالبًا مستوليًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف واستحقاقه بعد أن لم يكن، كما أن المذكور في البيت إنما حصل له هذا الوصف بعد أن لم يكن، وتشبيههم أحد الاستواءين بالآخر غير صحيح، ومؤدٍّ إلىٰ أنه تعالىٰ كان مغالبًا في ملكه، وهذا منتفٍ عن الله؛ لأن الله تعالىٰ هو الغالب لجميع خلقه.

وأما من قال تأويله: استقر، فقول فاسد أيضًا...

إلىٰ أن قال:...

وأما قول من قال: علا، فهو صحيح وهو مذهب أهل السنة والحق...»[١].

وقال حافظ المغرب الإمام أبو عمر ابن عبد البر (بخاري المغرب) (ت٤٦٣هـ) في كتابه «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»: «أهل

(١) «شرح ابن بطال المالكي علىٰ صحيح البخاري» (١١/ ٢١٣).

السنة مجموعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها علىٰ الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله»[(١)].

وقال في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والمَيز والفهم»[(٢)].

وقال الإمام أبو الوليد ابن رشد القرطبي (ت٥٢٠هـ)[(٣)] في كتابه «البيان

---

(١) «التمهيد» (٤/ ٥٦).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٣٠).

(٣) هو ابن رشد الجد صاحب «المقدمات الممهدات» وغيرها، وقد وجدت في بعض الكتب أن وفاته كانت عام (٤٥٠)، وهو وهم بيِّن، إن لم يكن سبق قلم؛ لأن (٤٥٠) هو عام ولادته، أما وفاته فكما ذكرنا، انظر ترجمته عند الحطاب في «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل» (١/ ٥٤)، وعند الذهبي في «السير» (١٩/ ٥٠٢)، وعند الزركلي في «الأعلام» (٦/ ٢٠٠).

هذا؛ وقد وقع في بعض نسخ كتاب «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فرحون =

والتحصيل» الذي يعتبر من أهم كتب المذهب وأوسعها: «... وأما الاستواء فهو معلوم غير مجهول كما قال -يعني: مالكًا-؛ لأن الله وصف به نفسه فقال في محكم كتابه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:٥-٦]. وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٩]. فوجب الإيمان بذلك، وأن يوصف بما وصف به نفسه من ذلك ويعتقد أنها صفة من صفات ذاته وهي العلو، لأن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: علىٰ العرش علا، كما يقال: استوىٰ فلان علىٰ العرش: علا عليه، واستوت الشمس في كبد السماء: علت، ولما كان العرش أشرف المخلوقات وأعلاها وأرفعها مرتبة ومكانًا أعلم الله تعالىٰ عباده بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ أي: علا، فإنه أعلىٰ منه، وإذا كان أعلىٰ منه فهو أعلىٰ من كل شيء؛ إذ كل شيء من المخلوقات دون العرش في الشرف والعلو والرفعة، فالمعنىٰ في وصف الله عَزَّ وَجَلَّ نفسه بأنه استوىٰ علىٰ العرش أنه أعلىٰ منه ومن كل مخلوق، لا أنه استوىٰ عليه بمعنىٰ الجلوس عليه والتحيز فيه والمُمَاسَّة؛ لأنه مستحيل في صفات الله تعالىٰ؛ لأنه من التكييف الذي هو من صفات المخلوق، ولذلك قال فيه مالك في الرواية: إنه غير معقول.

= أن ولادة ابن رشد كانت عام (٤٠٥)، وهو أيضًا إما وهم أو سبق قلم؛ لأن الصواب الذي لا ريب فيه هو ما ذكرناه، والله الموفق.

ولا أنه استوىٰ عليه بمعنىٰ أنه استولىٰ عليه لوجهين:

أحدهما: أن الاستيلاء إنما هو بعد المدافعة والمُغَالبة، والرب -تبارك وتعالىٰ- منزه عن ذلك.

والوجه الثاني: أن الاستيلاء هو القهر والقدرة، والله تعالىٰ لم يزل قادرًا قاهرًا عزيزًا مقتدرًا، قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾: يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ...».

وهاهو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المفسر المالكي الشهير (ت٦٢٩هـ) يقول في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

«وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالىٰ كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوىٰ علىٰ عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تُعلَم حقيقته[1].

قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم -يعني: في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وهذا القدر كافٍ، ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه من كتب العلماء».

(١) أسند الإمام الهروي عن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده أنه قال: «إذا بلغ الكلام إلىٰ الله فأمسكوا». وقال: «تكلموا فيما دون العرش، ولا تكلموا فيما فوق العرش، فإن قومًا تكلموا في الله فتاهوا». انظر: «ذم الكلام وأهله» (٤/ ١٣٥).

وقال العلامة أحمد بن مشرف التميمي[1] رَحِمَهُ اللهُ في منظومته الرائية، التي نظم فيها مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني:

وَأَنَّهُ أَوَّلٌ بَاقٍ فَلَيسَ لَهُ ... بَدءٌ وَلَا مُنتَهًى سُبحَانَ مَن قَدَرَا
حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالكَلَامُ لَهُ ... فَردٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مَا أَرَادَ جَرَىٰ
وَأَنَّ كُرسِيَّهُ وَالعَرشَ قَد وَسِعَا ... كُلَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِينَ إِذ كَبُرَا
وَلَم يَزَل فَوقَ ذَاكَ العَرشِ خَالِقُنَا ... بِذَاتِهِ فَاسأَلِ الوَحيَينِ وَالفِطَرَا
إِنَّ العُلُوَّ بِهِ الأَخبَارُ قَد وَرَدَت ... عَنِ الرَّسُولِ فَتَابِع مَن رَوَىٰ وَقَرَا
فَاللهُ حَقًّا عَلَىٰ المُلكِ احتَوَىٰ وَعَلَىٰ الـ ... ـعَرشِ استَوَىٰ، وَعَنِ التَّكيِيفِ كُن حَذِرَا
وَاللهُ بِالعِلمِ فِي كُلِّ الأَمَاكِنِ لَا ... يَخفَاهُ شَيءٌ سَمِيعٌ شَاهِدٌ وَيَرَىٰ
وَأَنَّ أَوصَافَهُ لَيسَت بِمُحدَثَةٍ ... كَذَاكَ أَسمَاؤُهُ الحُسنَىٰ لِمَن ذَكَرَا
وَأَنَّ تَنزِيلَهُ القُرآنَ أَجمَعَهُ ... كَلَامُهُ غَيرُ خَلقٍ أَعجَزَ البَشَرَا
وَحيٌ تَكَلَّمَ مَولَانَا القَدِيمُ بِهِ ... وَلَم يَزَل مِن صِفَاتِ اللهِ مُعتَبَرَا
يُتلَىٰ وَيُحمَلُ حِفظًا فِي الصُّدُورِ كَمَا ... بِالخَطِّ يُثبِتُهُ فِي الصُّحفِ مَن زَبَرَا
وَأَنَّ مُوسَىٰ كَلِيمُ اللهِ كَلَّمَهُ ... إِلَهُهُ فَوقَ ذَاكَ الطُّورِ إِذ حَضَرَا
فَاللهُ أَسمَعَهُ مِن غَيرِ وَاسِطَةٍ ... مِن وَصفِهِ كَلِمَاتٍ تَحتَوِي عِبَرَا

---

(١) انظر: «ديوان ابن مشرف» (ص ١١، ١٢)، و«قطف الجنىٰ الداني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني» للشيخ عبد المحسن العباد (ص٤٥)، و«عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة» تقديم الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص٦٤).

وقال أيضًا في قصيدته الموسومة «جوهرة التوحيد»:

فَهُــو الــسَّمِيعُ العَــالِمُ البَــصِيرُ   وَالحَـــيُّ وَالمُـــرِيدُ وَالقَدِيـــرُ
وَمِـــن صِـــفَاتِ ذَاتِـــهِ القِـــيَامُ   بِنَفْـــسِهِ لَا الغَيـــرِ وَالكَـــلَامُ
كَلَّـــم مُوسَـــىٰ بِكَلَامِـــهِ الَّـــذِي   مِـن وَصـفِ ذَاتِـهِ فَـبِالحَـقِّ خُـــذِ

إلىٰ أن قال:

هَـذَا هُـو الحَـقُّ فَـدَع عَـنك الهَـوَىٰ   وَاللَّــه رَبـنَا عَلَـىٰ العَـرشِ اسـتَوَىٰ
لَكِـــن بِـــلَا كَـــيف وَلَا تَمثِـــيل   جَـــلَّ فَنـــزهه بِـــلَا تَعطِـــيل
فَالـــوَاجِب الإِيمَـــان باســـتِوَائِهِ   وَلَا تفـــــــسرنه باســـــــتِيلَائِهِ
إِلَـــيه تَعـــرج المَلَائـــك العُـــلَا   وَالـــرُّوح وَالأَمـــر وَمِـــنه انـــزلَا
وَالمُـــصطَفَىٰ بِـــهِ إِلَـــيه أُســـرِي   فَجَـاوز الـسبع الطِّـبَاق فَـادرِي
فَطِـــيب القَـــولِ إِلَـــيه يـــصعَدُ   وَفِطـــرة الخَلـــقِ بِهَـــذَا تَـــشهَد
هَـــلَّا سَـــألت كُـــلَّ عَـــبدٍ يَـــسأل   هَـــل نفـــسه تَجـــنح إِلَّا للعُلـــو
وَأَنَّـــه قَـــد رَفـــع ابـــن مَـــريمَا   لَـهُ وَسـمَّىٰ نَفـسه (مَـن فِـي الـسَّمَا)
وَقَـد أَشَـار المُـصطفَىٰ بِالأصـبع   نَحـو الـسَّمَاء مَـشْهِدًا فِـي مَجمَـع
فَاللَّـه ذُو العَـرشِ عَلَىٰ العَرشِ استوىٰ   وَعِلمــه لِكُــلِّ شَــيء قَــد حَــوَىٰ
وَمَـا اقتَـضَىٰ التَّـشبيه مِـثل العَـين   وَالـــوَجه وَالأُصـــبع وَالـــيَدَين
نُـــؤمن بِـــهِ لَكِـــن مَـــعَ التَّنـــزِيه   لَـــه عَـــن التَّمثِـــيلِ وَالتَّـــشبيه

فَاللَّهُ لَيس مِثله شَيء وَلَا ... لَهُ سَمي جَلَّ شَأنًا وَعَلَا

فَذَاتُهُ لَا تُشبه الذَّوَات ... وَوَصفُهُ لَا يُشبه الصِّفَات

مَن شَبَّه اللَّه بِخلقِهِ كَفَر ... وَمَن نَفَىٰ صِفَاته أُصلِي سَقَر

انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فانظر -وفقك الله- إلىٰ أولئك الأعلام، هل واحد منهم حرَّف وغيَّر وصرف النصوص عن ظواهرها -بدعوىٰ التنزيه عن طريق التأويل- فقال: «ليس لله يد وليس له وجه... إلخ، أو قال بأن (استوىٰ علىٰ العرش) بمعنىٰ (استولىٰ)؟ كلا.

بل إن أبا الحسن الأشعري نفسه نسب في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» نسب هذا القول إلىٰ المعتزلة كما أسلفنا، عندما قال ما نصه: وقالت المعتزلة: إن الله استوىٰ علىٰ عرشه بمعنىٰ استولىٰ»[(١)].

فأي جرم أعظم، وأي ضلال أبعد من أن يدَّعي مبطل ضالٌّ تنزيه الخالق سبحانه مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ؟! ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠].

يقول سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]. ويقول رسوله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان**»[(٢)].

---

(١) «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٨٥).

(٢) متفق عليه، انظر البخاري (مع فتح الباري) (١١/ ٤٤٢ برقم ٦٥٣٩)، مسلم (بشرح النووي) (٧/ ١٠٤ برقم ٦٧/ ١٠١٦).

وذاك المبطل الضالُّ يقول: ليس متكلمًا، وإنما هو كلام نفسي قديم!

ويقول الله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، ويقول رسوله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن** ﷻ، **وكلتا يديه يمين...**»(١).

ويقول ذاك المبطل الضالُّ في عِزَّته مستنكرًا: كيف يكون له يد؟ هذا تجسيم!

وكأنه لا يشعر أنه بقوله هذا يحادد الله ورسوله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠].

يقول الله سبحانه: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، ويقول رسوله ﷺ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢).

وذاك المبطل الضالُّ يقول: لم يستوِ، لكن استولى.

ويقول: ليس في السماء، بل في كل مكان!

والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت:٤٠].

نعوذ بالله من الضلال.

---

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) (١٢/ ٢٠٣ برقم ١٨/ ١٨٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (مع عارضة الأحوذي) (٤/ ٣١٨ برقم ١٩٣١)، وأبو داود (مع عون المعبود) (١٣/ ١٩٤ برقم٤٩٣١)، ولفظه: «**ارحموا أهل الأرض**»، كلاهما عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٩٤ برقم ٩٢٥).

وسل نفسك أيها العاقل: أيهما أسلم لك: أن تلقىٰ الله تعالىٰ وقد آمنت بما أخبر به -هو- عن نفسه كما هو، وكما يفهمه أي عربي سليم الفطرة من أول وهلة، دون أي تغيير أو تأويل، أو أن تلقاه سبحانه وقد غيَّرت وصرفت الحقائق إلىٰ المجاز دون أدنىٰ حجة أو قرينة إلا (فرية) التنزيه [كما تزعم]، ولسان حالك اليوم يقول: (لا يليق بك يا رب أن تصف نفسك بتلك الأوصاف التي ذكرتَها في القرآن أو أوحيتها إلىٰ نبيك فإنها تقتضي التجسيم، ولذلك دع الأمر لي فأنا أعلم منك بما يليق بك، وسأصفك بما أراه مناسبًا لك).

بالله عليك أيها المنصف أليس لسان حالهم يصيح بهذا التبجح والفسق؟!

وإذا حاورت الواحد منهم أخذته العزة بالإثم، وإذا ألزمته بالدليل نكص علىٰ عقبيه وطفق يسخر ويستهزئ بآيات الله استهزاء الجبناء، وأخذ يتطاول علىٰ أئمة الدين ويرميهم بالتشدد والجمود والغلو ...

ولله دَرُّ الإمام أبي حاتم الرازي إذ يقول: «علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر».

أعوذ بالله مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية:٧-١٠].

فالله الله أيها المسلم، إياك أن تغتر بأولئك المبطلين، الذين يُقَوِّلون أئمة المالكية ما لم يقولوا، والذين ينسبون أنفسهم وعقائدهم إلىٰ أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد علمت أنه قد أعلن بنفسه في كثير من كتبه أنه منهم بريء.



وفي ختام هذه الرسالة الموجزة؛ أريد أن أوجه رسالة إلىٰ كل شخص يدَّعي أنه مالكي؛ أنَّ عليه أن يعلم أولًا أن مالكًا قد تبرأ من كل قول ورأي مخالف لسنة النبي ﷺ، سواء كان هذا القول له أو لغيره مهما كان قدر قائله.

فإذا أردت -أخي الحبيب- معرفة مذهب مالك فعليك بسنة الرسول ﷺ فما كان فيها فقد أخذ به مالك، وما لم يكن فيها فليس مذهبًا له ولو كان قد قال به اجتهادًا؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[(١)].

فإذا تقرر هذا فاعلم أن الإمام مالكًا كان أبعد الناس وأشدَّهم مجانبة للبدع والمحدثات في الدين، سواء في العقائد أو في العبادات، كيف وهو القائل: «من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئًا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]. فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليوم دينًا»[(٢)].

وهو القائل -أعني: الإمام مالكًا- لما سُئل عما زاد علىٰ السلام علىٰ النبي ﷺ عند قبره مثل الوقوف للدعاء له ﷺ مع كثرة الصلاة والسلام عليه

(١) رواه عنه الإمام ابن حزم في كتابه: «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٧٩٠)، والحافظ ابن عبد البر في كتابه: «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٢٢).
(٢) «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٧٦١).

فكرهه وقال: «هو بدعة لم يفعلها السلف، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، (ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك)»[(١)].

فهذا قول مالك وأصل مذهبه، التوقف عند ما ورد، فإن كان الأمر قد ثبت عن رسول الله ﷺ أو عن أحد من صدر هذه الأمة فنعم، وإلا فهو ممنوع.

وعن سفيان بن عيينة قال: قال رجل لمالك بن أنس: من أين أحرم؟ قال: أحرم من حيث أحرم ﷺ، فأعاد عليه مرارًا، وقال: فإن زدت على ذلك؟ قال: فلا تفعل فإني أخاف عليك الفتنة، قال: وما في هذه من الفتنة إنما هي أميال أزيدها، فقال مالك: قال الله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. قال: وأي فتنة في هذا؟ قال: وأي فتنة أعظم من أن ترىٰ أنك أصبت فضلًا قصر عنه رسول الله ﷺ، أو ترىٰ أن اختيارك لنفسك في هذا خير من اختيار الله لك واختيار رسول الله ﷺ»[(٢)].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان مالك كثيرًا ما يتمثل:

وَخَيرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةً   وَشَرُّ الأُمُورِ المُحدَثَاتِ البَدَائِعِ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٣٨٤)، والزيادة التي داخل القوسين من كتاب «الشفا» للقاضي عياض، فانظره مع شرحه للملا علي القاري (٢/ ١٥٧).

(٢) «مواهب الجليل» (٣/ ٥٣)، ونحوه عند القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ٨٨)، وكذا ابن حزم في «الإحكام» (٨/ ١٠٧٥).

قال أحمد بن حنبل: مالك أتبع من سفيان»[١].

فمن يدَّعي أنه مالكي فهاهو مذهب مالك، الانقياد الكامل للكتاب والسنة علىٰ طريقة سلف الأمة، والمنع من كل قول أو فعل أو اعتقاد لم يكن معروفًا عند القرون الخيرة الأولىٰ، فمن كان كذلك فنحن نقرُّ بأنه من أتباع الإمام مالك حقًّا، ومن كان علىٰ خلاف ذلك فإنما هو مدَّعٍ يدعي أنه مالكي والإمام مالك وأصحابه منه براء.

هذا؛ والله ﷻ أعلم.

(سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك).

(اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، وبارك علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صليت وباركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

وكتب

أحمد عبد الحفيظ

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ٨٧).

فهرس الموضوعات

